المنهج التربوي التّعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

Study program of the Society of Algerian Muslim scientists

تابتي عبد الباسط [1]، طول محمد [2]

Tabti abdelbassit[1], Toul mohamed[2]

[1]مخبر الدّراسات الأدبية و النّقدية و أعلامها في المغرب العربي – جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان(الجزائر) tabti.abdelbassit89@yahoo.com

[2] جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان(الجزائر)، motoul5@yahoo.com

تاريخ الاستلام:2021/04/17- تاريخ القبول:2021/06/05- تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص:

لقد أسهمت جمعية العلماء الجزائريين في صناعة الإنسان و تحرير العقل من الجهل و الخرافة معتمدة على منهج تربوي و علمي محكم ، وقد وقفت في هذا البحث عند الخطوط العريضة المشكّلة لهذا المنهج بغية كشف الأسس العلمية لرؤية الجمعية في عملية الإصلاح التربوي للإنسان و المجتمع .

كلمات مفتاحية: المنهج ، التربية ، التعليم ، العلماء ، الجزائر.

Study program of the Society of Algerian Muslim scientists

Abstract

The Society of Algerian Scientists has contributed to the formation of man and the liberation of reason from ignorance and superstition And I have stood in this research in sketching the problem of this approach in order to discover the scientific basis of vision Society in the process of educational reform of the human person and of society

Keywords: program– Education - scientists- Algeria

المؤلف المرسل: تابتي عبد الباسط ، **الإيميل**: tabti.abdelbassit89@yahoo.com

1. مقدمة:

إنّ التربية و التعليم هما أصل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أساس أهدافه بغية تنوير البصائر و تحرير العقول تمهيدا لتحرير الإنسان من ربقة إحتلال غاصب ربض على صدر الأمّة قرنا و نيّفا . و من ثمّ كان الإهتمام بالتّربية هياكلا و مناهجا أمرا محوريا عكف عليه أساطين الجمعية و روادها على رأسهم الشّيخ الإمام عبد الحميد بن باديس و الشّيخ الإمام البشير الإبراهيمي.

هذه المداخلة تقف عند أهمّ الأسس التي رسمت منهج التّربية و التعليم في مدارس الجمعية و تحديد مضامينها و اختيار الأساليب التي تحقّق هذه الأهداف في إخراج نشء صالح واع و مسؤول تجاه أمّته و وطنه، وقد ارتكزت في صلب هذه المداخلة على كتاب آثار الإمامين عبد الحميد ابن باديس و البشير الإبراهيمي فقد وضّحا بإسهاب و شرحا بالتّفصيل المنهج التّعليمي للجمعية و أسس التّربية المعتمدة في مدارسها و مساجدها و قد وقفت عند ثلاث محاور أساسية في صميم البحث (التربية – المنهج – تكوين المعلّمين)

2. التّربية:

التّربية هي جهد إنساني هادف ، يوجّه لرعاية الفرد وبناء المجتمع ، كما تسعى لبناء الفكر وتثقيف العقل وتقويم السلوك ، وتنمية المواهب ، من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان في حياته و هي بلوغ الكمال الإنساني ، أي بناء الشخصية السوية ، والتربية في منظور جمعية العلماء لا تخرج عن هذه المعاني فهي تنظر إلى الجهود التي يبذلها العلماء والمعلمون والمصلحون ، وهو إعداد الأفراد للحياة الحاضرة والحياة المستقبلية ، من خلال الدعوة إلى بناء عقولهم ونفوسهم و تنمية مواهبهم الفطرية وتنشئتهم على صحة الإدراك ودقة الملاحظة .

إنّ عناية الإمام ابن باديس بموضوع التربية، ليست عناية الباحث المنظّر الذي لا شأن له بالتّطبيق العملي، بل كان يمارس ذلك كل يوم في حلقات الدّروس في الكتاتيب والمدارس،و المساجد و حتّى في النوادي والأسواق .والعمل التربوي هدفه هو تهيئة وإيجاد الطبقة القائدة وذلك بإعداد هؤلاء الرّجال حيث يقول الإمام ابن باديس: "فإننا نُربي – والحمد لله – تلامذتنا على القرآن ، و نوجّه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم و في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق، أن يكوّن القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا و جهودها" (باديس، 1934، صفحة 352)[1] وفي هذا الصّدد يؤكّد الإمام الإبراهيمي ما ذهب إليه الشيخ ابن باديس: " للجيل الآتي علينا حقوق أولية مؤكّدة لا تبرأ ذمتنا منها عند الله ...إلا إذا أديناها كاملة غير مبخوسة... وملاك هذه الحقوق أن نعدّهم للحياة على غير الطريقة التي أعدّنا بها آباؤنا للحياة " [2] (طالب، 1997، صفحة 272)

أمّا السياسة التي هي (المبادئ والمنطلقات) التي تشكّل الدليل الموجّه للنشاط التعليمي وفق تصوّر جمعية العلماء فيلخّصها الإمام الإبراهيمي بقوله: " إنّ الشعب الجزائري قد أصبح من طول ما جرّب ومارس في حالة يأس من العدالة ، وكفر بالديمقراطية التي يسمع عنها ولا يراها ، أصبح لا يؤمن إلا بأركان حياته الأربعة:ذاتيته الجزائرية ، وجنسيته ولغته العربيتين ودينه الإسلامي لا يستنزل عنها ولا ينبغي لها بديلاً "[3] (طالب، 1997، صفحة 234)

هذه المجالات هي الأركان التي تستلهم منها قضايا التعليم و مكونات الهوية الوطنية ، و هي التي يرجع إليها من يحاور في شأن إصلاح أوضاع البلاد ، والوقوف على واقع السّياسة المنتهجة في التعامل مع الدين واللغة ، والمساجد وقضايا التعليم هذه الأركان التي تمثل عناصر السياسة التعليمية والإصلاح الاجتماعي لبناء شخصية متكاملة علما و خلقا و

مسؤولية في الحياة ، حيث يرى الإمام ابن باديس أنّ من أهداف التربية كمال الحياة الفردية والاجتماعية وبالتالي بناء الشّخصية المتكاملة التي تُنبني على الجوانب الأخلاقية والعقلية والعلمية . هذا ما أنتجته النظريات التربوية الحديثة بعد تعب وجهد ومخابر تُصرف عليها الأموال الطائلة، و يوضح الشيخ ما المقصود بالكمال الإنساني ؟ إنّ الكمال الإنساني متوقّف على قوة العلم، وقوة الإرادة، وقوة العمل، فهي أسس الخُلق الكريم والسّلوك الحميد" [4] (باديس، 1934، صفحة 346) .

إن الكلام عن الأخلاق هو من الأسس التّربوية التي تحدد بها المنطلقات الفكرية للمربي و المصلح فهي التي تحدد ملامح الشخصية لبناء الفرد المسلم وبالتالي المجتمع المسلم و لا يمكن توطيد وتمكين مميزات الشخصية الإسلامية إلا ببناء معارف كافية وشاملة ترمي في كلياتها وجزئياتها المترابطة من حيث طرق الفكر والشعور والعمل لبناء الشخصية البشرية السليمة الفعالة، يقول الإمام ابن باديس: " إن الذي نوجه إليه اهتمامنا العظيم في تربية أنفسنا، وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر حيث لا يمكن إصلاح ما أفسدته البدع والضلالات إلا بالعلم والعلم فقط، وإظهار الإسلام بسلوكنا في الحياة أمام الناس في مظهره الصادق الصحيح ، و المنهج الذي نجح به المسلمون الأولون في تغيير العالم إنما هو سلوكهم و تطبيقهم الإسلام على أنفسهم و غيرهم في الحياة " [5] (طالب، 1997، صفحة 332) .

هذا بعينه ما تدعو إليه نظريات التعلّم الحديثة التعليم بالقدوة و إعطاء المثال للسّير وفقه حيث يقول عنها الشّيخ الإبراهيمي :" كان المرشد الأول عليه الصّلاة و السّلام في تربيته لأصحابه يعلّمهم بأعماله أكثر من أقواله لعلمه بما للتّربية

العملية من الأثر في النّفوس و باعث فطري في الاقتداء "[6] (طالب، 1997، صفحة 109).

هذا الجانب التربوي الذي عنيت به الجمعية و ركزت عليه في تربية النّشء و إعداد الجيل الصّاعد.

3. المنهج:

يعرّف المنهج عند علماء البيداغوجيا أنّه الخطّة الفكرية التي يتبعها المفكّر أو الباحث لمعالجة وضعية معينة أو لبحث قضية من القضايا بغية الوصول إلى الهدف . إنّ المنهج الذي خطّه الإمامين ابن باديس و الإبراهيمي استقاه من نظام التّربية في الإسلام ، و من مشكلات الواقع الذي كان واقعاً مضطرباً تحت ظروف إحتلال وحشي عمل على تجهيل الأمّة و نشر الخرافة و الجهل لا هو واقع منسجم مع الأمة ، ولا هو واقع مندمج مع روح العصر.

إنّ تصور المنهج بالنسبة إلى الإبراهيمي هو الخطة التي رسمها لنشاطه الإصلاحي في المجال التّربوي والتعليمي وجعلها سبيله في تناول قضايا التربية وتحديد مفهوم كلّ قضية و رسم النّموذج التّعليمي المنشود الذي يراه ملائماً لانتظارات المجتمع ، ومحققاً لتطلعات الأجيال حيث يقول في هذا الصدد:" للجيل الآتي حقوق مؤكدة ملاكها أن نعدهم للحياة على غير الطريقة التي أعددنا بها و السبيل القويم هو التعليم الذي يصقل الفكر و العقل و اللسان "[7] (الإبراهيمي، 2007، صفحة 302).

العناصر المشكّلة للمنهج:

من بين العناصر التي نراها بارزة في تفكير الإمامين ابن باديس و الإبراهيمي التي تشكّل منهجهما في طرح قضايا التربية والتعليم ما يلي :

•النظرة الشاملة والمتكاملة لقضايا التربية والتعليم إذ هو وسيلة والتربية غاية ، والغاية تسبق الوسيلة عند بناء الخطّة ، و لكن لابدّ منهما معاً (الوسيلة والغاية) .

يبرز هذا من خلال بيان دور الطريقة البيداغوجية التي تستخدم في التبليغ ، وعلاقة المواد الدراسية بالمتعلم وبحاجاته ، والمسؤولية الملقاة على كاهل المعلم ، الذي يجب أن يعي دوره الحقيقي الذي يتجاوز تلقين المعرفة إلى ممارسة الفعل التّربوي الذي يتّجه إلى تربية العقل وتزكية النفس ، وتهذيب الوجدان وصقل الذوق وتقويم الأخلاق ، حيث يقول الشّيخ البشير الإبراهيمي واصفًا الطّريقة التي ارتضاها لتربية النشء : " وكانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا في المدينة في تربية النّشء هي ألا نتوسّع له في العلم، وإنّما نربّيه على فكرة صحيحة، و لو مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا "[8] (الإبراهيمي، 2007، صفحة 299).

يوجّه الإمام الإبراهيمي اهتمام المعلمين إلى التركيز على الجانب الكيفي في تقديم المعرفة وتحقيق الغاية من المعرفة متوقف على طريقة التناول ، وانتقاء نوع المعرفة التي تبرمج ، والكمّ الذي يجب أن يتلاءم مع الوعاء الزمني لأنّ ما يرمي إليه التعليم الجيد هو نوع الأثر الذي تحدثه المعرفة في فكر المتعلم و وجدانه وسلوكه و ليس كثرة المعلومات ، لذا يجعل الإبراهيمي الغاية من الدرس "إنماء الفكر وتربية ملكة التعليل والتدريب على الاستنباط وبناء الأمور على أسبابهم والنتائج على مقدماتها"[9] (طالب، 1997، صفحة 311)

و من قبل قال ابن خلدون: " اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلمين يكون مفيدًا لو تمّ ذلك بالتدريج شيئًا فشيئًا، قليلاً قليلاً، فيلقى على المتعلم مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب"[10] (خلدون، د.س، صفحة 468) و طريقة أهل المغرب في تعليم الصبيان إذ يعتمدون على التدرج " فأمّا أهل المغرب فمذهبهم في تعليم الولدان الاقتصارعلى تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شِعْر،و لا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه" [11] (خلدون، د.س، صفحة 615)

يرى الإمام ابن باديس ضرورة إعداد المناهج المناسبة لتنشئة أجيال المستقبل وتربيتها التربية الصالحة موضحًا ذلك بقوله:" إنّ أبناءنا هم رجال المستقبل، وإهمالهم قضاء على الأمة إذ يسوسها أمثالهم ويحكم في مصائرها أشباههم...و ينبغي هنا أن نربّي أبناءنا كما علّمنا الإسلام، فإن قصّرنا فلا نلومنّ إلا أنفسنا ولنكن واثقين أننا نبني على الماء ما لم نعدّ الأبناء بعدّة الخُلُق ، و الأدب الديني الصحيح" [12] (باديس، 1934، صفحة 346)

ومما ذكره الإبراهيمي في هذا الاتجاه أن أولى المهام تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا لأنهما في نظر جمعية العلماء المسلمين لا ينفصلان ، إذ أنّ تحرير العقول من الأوهام سبيل ممهد إلى تحرير الأبدان من الاستعباد ، ثمّ يقول : "وإنّ تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان وأصل له ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلاً عبداً ويقصد بالعقل العبد العقل الجاهل الخامل الذي تسيطر عليه الأوهام وتتحكم فيه الخرافات ، العقل الذي لا يرى الحقيقة حقيقة والوهم وهماً ، ولا يعرف كيف يتخلّص من الوهم ، وهذا النوع من التحرير لا يقوم به و لا يقوى عليه إلا العلماء الربّانيون المصلحون "[13] (الإبراهيمي، 2007، صفحة 298)

و قد لاحظ ابن باديس أن المناهج والبرامج المتبعة في زمانه، ليست في حالة اعـتـدال، سـواء في صورتها أو مادتها، لإهمالها كثيرًا من المبادئ الخـالـدة التي جاء بها الإسلام، فهو يرى أنّـه " لن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتّعـلـيـم النّبـوي في شكله وموضوعه، في مادته وصورته، فيما كان يـعلّم صلى الله عـليه و سلم وفي صورة تعليمه " [14] (باديس، 1934، صفحة 346)

أما بالنسبة لمـحـتـوى المـنـهج فيوضّحه ابن باديس بقوله: (تشتمل الدروس على التفسير للكـتاب الحكيم وتجويده، وعلى الحديث الشريف، وعـلـى الفـقه في المختصر وغيره، وعلى العقائد الدينية، وعـلى الآداب والأخلاق الإسلامية، وعلى العربية بفنونها كالمـنـطق والحـساب وغـيـرهـما"[15] (باديس، 1934، صفحة 347)

أما التّفسير، فـقـد تـصدّر هـو بـنفسه لتفسير كتاب الله العزيز الحكيم، وأما الحـديـث فمن (موطأ الإمام مالك)، والفقه من (أقرب المسالك)، و(رسالة ابن عاشر)، والعربية من (قَطْرِ النَّدَى)، والشعر من (ديوان الحماسة وديوان المتنبي) إضافة إلى تدريس (مقدّمة ابن خلدون) وتـعـليم الطّلبة بعض الصنائع اليدوية.

يوجه الإبراهيمي الطلبة إلى الطريقة المثلى في التحصيل العلمي فيقول : "لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها بل احفظوا كل ما يقوي مادتكم اللغوية ,ويغذي ملكتكم البيانية , و ينمي ثروتكم الفكرية "[16] (طالب، 1997، صفحة 203)

كما يحرّض ابن باديس رجال التربية في عصره على ضرورة إعـادة النّـظـر في البرامج التربوية، فيـتسـاءل مستنكرًا " فهل نعدّ منهجًا ينبت به أبناؤنا نباتًا حسنًا فـيـكـون رجـاؤنا عظيمًا، أم نـسـتـمر على ما نحـن عليه فيضيع الرجاء؟ ذلك ما نُسأل عنه يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم" [17] (باديس، 1934، صفحة 334)

ويوضح في هذا السياق أهمية إصلاح تلك البـرامج، مؤكدًا على الصّـبـغة المتميّـزة التي يـنـبغي أن تكون عليها فيقول: " فالتعليم هو الذي يطبع المتعلّم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره و نعني بالتّـعـلـيم: التعليم الذي يكون به المسلم عالمًا من علماء الإسلام، يأخذ عـنـه الناسُ دينهم، ويقتدون به فـيـه"[18] (باديس، 1934، صفحة 334).

لقد ركزت جمية العلماء في التعليم على التدرج بمستوى المتعلمين كما حرصت على التـعـليم بالقدوة مستلهمة سيرة المعلم الأكبر عليه الصلاة و السلام في حسن تـعـلـيـمـه لأصـحـابه رضـي الله عنهم.

4. تـكوين المعلّمين :

المعلّم هـو الـرّكـن الرّكـيـن في العملية التّعليمية التّعلـّمية ،إذ هو مصدر المعرفة والأداة الناقلة لها وعـليه يتوقّف نجاح ما تبذله المدرسة من جهد ، لذا وجّهت الجمعية اهتمامها للمعلمين وحـددت لهم الأساليب الصحيحة للـتّـعـليم حتّى يكونوا قادرين على أدائها عالمين بواجباتهم ومما ذكره في هذا الشّأن الإمام الإبراهيمي : " إنّ كثـيـراً منكم – المعلمين – في حاجة إلى

الاستزادة من التحصيل... فاعرفوا كيف تدخلون من باب التّعليم إلى العلم و من مدخل القراءة إلى الفهم ، وتوسّعوا في المطالعة يتسّع الإطلاع"[19] (طالب، 1997، صفحة 290) .

هذا أحد الواجبات في مجال تنمية المعرفة وزيادة التحصيل العلمي ، أمّا الواجبات المطلوبة في مجال التعامل مع الأطفال فالمرجع فيها خصائص الأطفال فيحددها الإبراهيمي من خلال قوله: "إنّ من الطّباع اللازمة للأطفال أنهم يحبون من يتحبب إليهم ، ويميلون إلى من يحسن إليهم ، ويأنسون بمن يعاملهم برفق فواجب المربي الحاذق ، إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق أن يتحبب إليهم ويقابلهم بوجه متهلل و يظهر لهم من الحنان والعطف ما يحملهم على محبّته، فإذا أحبوه أطاعوه ، وإذا أطاعوه وصل إلى توجيههم إلى ما يريد... فإذا ملك نفوسهم حبب إليهم المدرسة والقراءة والعلم"[20]. (طالب، 1997، صفحة 301)

قال الشيخ الإبراهيمي موجّها وصايا للمعلّمين في خطاب طويل تحت عنوان " إلى أبنائنا المعلّمين الأحرار:" أنتم حرّاس هذا الجيل – الخطاب موجّه إلى المعلمين – والمؤتمنون عليه والقوّامون على بنائه فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة و ابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية...ربّوهم على استخدام المواهب الفطرية و على صدق التّصور و صحّة الإدراك ودقّة الملاحظة"[21] (الإبراهيمي، 2007، صفحة 288) .

فهو يحدّد خلاصة ما ينبغي أن تسعى إليه جهود الكبار والمسئولين عن رعاية الصغار في مجال تنشئة الأجيال وفق إرادة المجتمع ،ويحدد في الوقت ذاته الأسلوب الذي يجب أن

يعتمد في عملية الإعداد والتّنشئة بحيث يكون أسلوباً ملائماً لمجريات العصر ومنسجماً مع حاجات الأجيال المتجدّدة.

5.خاتمة:

لقد عنيت جمعية العلماء بالتّربية و التعليم و جعلتهما بمثابة معركة التحرير بل هو الطريق نحو تحرير العقول و بناء الإنسان الصالح الذي يأخذ الحياة بجدّ و يسعى لخدمة مجتمعه و وطنه و قد وقفت على عدّة نتائج في خاتمة البحث أجملها فيما يلي :

أولا : التربية و التعليم أساس قوام الجمعية و أصل في تأسيسها .

ثانيا: التعليم عند الجمعية وسيلة و التربية غاية في تنشئة الجيل الصّاعد .

ثالثا:تحرير العقول من الأوهام و الخرافة ممهّد لتحرير الإنسان و الأوطان من الاحتلال .

رابعا : المنهج التربوي التعليمي عند جمعية متكامل يرتكز على الخلق القويم و العلم الصحيح .

خامسا :لقد توخّت الجمعية اختيار المعلمين الأكفاء الذين يدركون ثقل الرسالة لصيانتها و تبليغها بأمانة و صدق.

6. الهوامش:

[1]:ابن باديس عبد الحميد ، ربيع الأول 1353هـ جويلية 1934م ، الشهاب ،ج 4 ، م 10، ص 352 ,

[2]: الإبراهيمي أحمد طالب , 1997، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ,بيروت , ط1 , ,ج 3 ، ص272.

[3]:المرجع نفسه ، ص234.

[4]: الشهاب, ج 6,م 22 , ص 346.

[5]الإبراهيمي أحمد طالب , الآثـار ,ج 5,ص332.

[6]: المرجـع نـفسـه ,ص109.

[7]: ينظر : الإبراهيمي محمد البشير, 2007, عيون البصائر , دار الأمة , الجزائر , ط1, ص302.

[8]:المرجع نفسه , ص299.

[9]:ينظر : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج 3 ، ص311.

[10]: بن خلدون عبد الرحمن, المقدمة , تح: أحمد الزعبي ,دار الهدى , الجزائر ,ص 468.

[11]: المرجع نفسه , ص 615.

[12]: ابن باديس ، الشهاب ج 6م 22 ,ص 346.

[13]: ينظر : الإبراهيمي البشير ، عيون البصائر، ص298.

[14]: ابن باديس ،الشهاب ج 6م 22 ,ص 346.

[15]:المرجع نفسه , ص347.

[16]: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج 3 ، ص203.

[17]:ابن باديس ،الشهاب ،ج 6، م 22 ،ص 334.

[18]: المرجع نفسه ، ص 334.

[19]: الإبراهيمي البشير, عيون البصائر, ص290.

[20]: ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ص301.

[21]: الإبراهيمي البشير , عيون البصائر, ص288.

7. المصادر و المراجع :

1- الإبراهيمي أحمد طالب، 1997،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط1،ج 3.

2- ابن باديس عبد الحميد ، ربيع الأول 1353هـ/ جويلية 1934م ،الشهاب ,ج 4 ,م 10 .

3- الإبراهيمي محمد البشير ، 2007،عيون البصائر ، دار الأمة، الجزائر ، ط1.

4- بن خلدون عبد الرحمن ، د.س ، المقدمة ، تح: أحمد الزعبي ، دار الهدى ، الجزائر.